جامعة الانبار

كلية التربية الأساسية- حديثة

قسم اللغة العربية

اســـم التدريســـي: أ. م.د. جمـــال فاضـــل فرحـــان

المرحلة الدراسية: الثانيـــــــــة

الفصـــــــــــل الدراسي: الأول

اسم المـــادة باللغة العربية: الأدب الإســـــــــلامي

اسم المادة باللغة الإنكليزية: Islamic Literature

اسم المحاضرة باللغة العربية: حسّان بن ثابت

اسم المحاضرة باللغة الإنكليزية: Hassan bin Thabit

﴿الشعراء المخضرمون﴾

١-(الشاعر: حسّان بن ثابت)

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام الخزرجي، من سادة قومه وأشرافهم، وهو من الشعراء المخضرمين المعمّرين؛ إذ يقال إنه عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين أخرى، وهو ليس خزرجيًّا فحسب، بل هو أيضا من بني النجار أخوال الرسولﷺ، فله به صلة قرابة ورحم.

كانت له قبل الإسلام أشعار قائمة على الفخر والمديح شأنه شأن الشعراء العرب الذين تغنّوا بأمجاد قبائلهم، إذ كان لسان قومه في الحروب التي نشبت بينهم وبين الأوس في الجاهلية. وتكمن أهمية حسان بعد صدور الإسلام بأنه من أبرز الشعراء الذين رفعوا راية النضال الشعري ضد المشركين؛ فبعد أن هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة، دخل حسان الإسلام حتى إذا أخذ شعراء قريش في هجاء الرسول وصحبه من المسلمين انبرى لهم بلاذع هجائه، وكان رسول الله يحثّه على ذلك ويدعو له بمثل: (اللهم أيّده بروح القدس)، واستمع لبعض هجائه لهم فقال: (لهذا أشد عليهم من وقع النَّبْل). وقد كان الرسولﷺ يؤثر حسانا، ويوجهه الوجهة التي من شأنها ردع خصوم المسلمين؛ لما يتمتع به من ملكة شعرية، وقدرة هجائية شافية، فهو لم يكن يهجوا قريشا بالكفر وعبادة الأوثان، وإنما كان يهجوهم بالأيام التي هُزِموا فيها، ويعيّرهم بمثالب والأنساب، وهذا طبيعي لأنهم كانوا مشركين فعلا، فلو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغا. وقد سُمي حسان شاعر الإسلام ورسوله الكريم؛ فقد عاش يناضل عنه أعداءه من قريش واليهود ومشركي العرب راميا لهم جميعا بسهام مُصْمية.

ويروى عن حسان أنه كان جبانًا شديد الجبن، فلم يجرد سيفًا لنصرة الرسول، ولا شهد واقعة من وقائع المسلمين وأهل الشرك، بل كان يتخلف في المنازل مع النساء والأولاد. حدَّثت صَفية بنت عبد المطلب قالت: «كنتُ يوم الخندق في فارع حِصن حسان بن ثابت؛ وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان، فمر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن، وقد حاربت بنو قُرَيظة، وقطعت ما بينها وبين رسول الله، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنَّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إذا أتانا آتٍ. فقلت: «يا حسان، إن هذا اليهودي -كما ترى- يطوف بالحصن، وإني والله ما آمنه أن يدل على عوراتنا مَن وراءنا من يهود، وقد شُغل عنَّا رسول الله وأصحابه، فانزل إليه فاقتله» . فقال حسان: «يَغفرُ الله لكِ يا ابنة عبد المطلب، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا». فلما قال ذلك ولم أرَ عنده شيئًا، اعتجرت ثم أخذت عمودًا ونزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت: «يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل» .فقال: «ما لي إلى سلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب».

ويذهب بعض الرواة إلى أنه كان ممن خاض في حديث الإفك الكاذب على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ونراه يعلن براءته من هذا القول الآثم بأشعار يمدحها بها مدحا رائعا، من مثل قوله:

حَصــانٌ رَزانٌ ما تُـزَنُّ بريبةٍ وتُصبح غَرْثى من لحوم الغوافل

فإنْ كانَ ما قد قيل عنِّي قُلتُه فلا رفعــتْ ســوطي إليَّ أناملي

(شعر حسّان قبل الإســـــلام وبعده):

حسان في شعره قبل الإسلام ليس مثله في شعره الإسلامي، لا يتسع له الخيال فيطول نفَسه، فأكثر قصائده قصيرة، وأطولها لا يزيد على الأربعين بيتًا. على أنه في قصائده الجاهلية أوسع خيالًا منه في قصائده الإسلامية، ولعل عنايته بذكر الحوادث التاريخية أثَّرت في مخيلته، أو لعل هذا الضعف ناتج عن كبر السنّ، ولست تجد في شعره تلك التشابيه التمثيلية الخصبة التي عرفتها في أشعار غيره من الجاهليين، فهو إذا وصف شيئًا لا يمعن في وصفه فيتمه، بل ينتقل بسرعة إلى غيره كمن ضاق صدره فطلب التنفس، ولذلك كثر في مطالعه الاقتضاب والقطع بما يشبه التخلص، فما يكاد يستهلُّ قصيدته بالغزل وذكر الديار حتى ينتقل بعد بيتين أو ثلاثة إلى غرضه مدحًا كان أو هجاءً، وأكثر ما يكون انتقاله بقوله: «دع هذا، ودع ذكر ذا»، وأغلب هذا الانتقال المقتضب في شعره الإسلامي.

وقد يكون هذا الضعف الخيالي هو الذي حمل الأصمعي على الزعم أن شعر حسان في الجاهلية أجود منه في الإسلام، وعلل ذلك بقوله: «**الشعر نَكْد يقوى في الشر ويسهل، فإذا دخل في الخير ضعف ولان. هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الإسلام سقط شعره.**». إنّ أهم ما يمكن أن نناقش به هذا النص إنْ صحت نسبته للأصمعي، ما يأتي:

١-لم يكن شعر حسان قبل الإسلام في باب الشر حتى يقال أنه علا في الجاهلية فإذا دخل في خير الإسلام لانَ؛ لأنه لم يؤثر عن حسان اشتراكه في حروب قومه وقوة شعره تبعا لذلك، لأن حياة حسان قبل الإسلام كانت حياة وادعة مترفة؛ فهي حياة شاعر يسكن الحضر فهو بين يثرب ودمشق وما في المدينتين من ترف واستقرار يؤكدان بالتأكيد إلى سلامة لغته الشعرية.

٢-إن شعر حسان الذي قاله قبل الإسلام لم يكن على نمط واحد إذ لم يكن كله بمستوى الإبداع والجودة ، إنما شعره متفاوت بين الجدة والإبداع والركة والسهولة وكذا كان شعره الإسلامي.

٣-إن كثيرا من أشعاره التي بدت ضعيفة ركيكة يمكن أن تدرج تحت الشعر الموضوع الذي نص القدماء على كثرة وضعه على لسان حسان لسبب من اسباب الانتحال المعروفة.

٤-إن الدراسة التحليلية لمراثي حسان في الرسول ﷺ أو في شهداء المسلمين تؤكد خلاف رأي الأصمعي؛ لأننا نجد فيها صدقا في العاطفة، واندفاعا في تسخير هذه المراثي في سبيل الدعوة الإسلامية، وهذا مبدأ ما كان يدفع حسان في مراثيه التي قالها قبل الإسلام والتي بدا بعضها خاليا من الروح العاطفية.

٥-يضاف إلى كل ذلك أن التفاوت في شعر حسان مرده إلى طبيعة الدعوة الإسلامية التي عاشت ظروفا صعبة وهذا الارتجال قد يبدع فيه حسان أو قد لا يتجاوز فيه النظم والرد على المشركين فقط.

(اللغة الشعريـة في قصائـد حسّـان الإسلاميـة):

إنّ المتأمل في قصائد حسّان الإسلامية، يجد تطور اللغة الشعرية عنده خاصةً، وعند شعراء الدعوة عامةً، سواء على مستوى: المفردة، أم الأساليب، أم المعاني. ويمكننا إجمال ذلك بالآتي:

١-يستعمل الشاعر أسلوب التهديد الذي يتماشى مع الظروف الحرجة التي كان يمر بها المسلمون؛ ولأنه أسلوب مهم من أساليب الحماس التي تثيرها القصيدة.

٢-استعمال لغة الجماعة في الفخر، وإذا كان هذا الأسلوب موجودا من قبل فإن حسان بن ثابت لا يعني به جماعة القبيلة، وإنما جماعة المسلمين من الأنصار والمهاجرين. ولا يستخدم حسان لغة المفرد إلا في الأبيات التي تخصه هو لكونه شاعرا .

٣-تظهر في أبيات قصائده الروح الإسلامية في إيراد الألفاظ والأفكار الإسلامية، وتطورا في اللغة الشعرية سواء في المفردات أم في الصفات؛ فالشاعر لا يسمي الرسول ﷺ بصفة من الصفات الدنيوية التي يصف بها ملوك الأرض وعظماؤهم، وإنما يصفه كما ورد في القرآن الكريم والتوجيهات النبوية (عبد الله)؛ لأن العبودية لله وحده والرسول ﷺ عبد الله ورسوله.

٤-كثرت في أشعاره الألفاظ المتعلقة بالحرب والسلاح ولكنها لم ترد على شاكلة ألفاظ الحرب قبل الإسلام لأنها اقتربت بأجواء هيمن عليها الإيمان والاستبسال في القتال رغبةً في الشهادة والثواب.

٥-صارت لغة الشعر عامة والشاعر خاصة أقرب إلى لغة الحاضرة السهلة السلسة البعيدة عن الغرابة أو التعقيد المؤدية إلى المعنى بيسر وسهولة؛ وسبب ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون شعراء الدعوة عامةً هم من شعراء القرى العربية.

وخير ما يظهر ذلك قصيدته، التي يقول في أبيات منها:

عفتْ ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خـــلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسماء
فدع هذا ولكن مـــن لطيف يؤرقني إذا ذهب العشاء
ألا أبلـــغ أبا سفيـــان عني فأنت مجوّف نخب هواء
بأن سيـــوفنا تركتك عبـــدا وعبد الدار سادتها الاماء
هجوت محمدا فاجبت عنـه وعند الله في ذاك الجزاء
اتهجوه ولســـت لـه بكفء فشركما لخيركما الفـداء